

تاريخ تطور النشاط السياحي في دارفور من المنظور الاقتصادي

أ.د. أبوهريرة عبد الله محمود يعقوب

أستاذ التاريخ الحديث-جامعة نيالا، كلية التربية، قسم التاريخ.

جعفر علي فضل

مؤسس ومدير مركز تراث دارفور بجامعة نيالا

المستخلص

يرتبط النشاط السياحي بالتراث الثقافي الذي يجسد تاريخ وحضارة المجتمعات الإنسانية في أبهى فترات تطورها عبر الزمن. ودارفور عبارة عن لوحة فنية تشكل صورة من صور التنوع وعراقة التراث منذ أن كانت مملكة مستقلة لها لغاتها المحلية وآثارها البكر الممتدة من حقبة ما قبل التاريخ وحتى العصور الوسطى. وللنشاط السياحي دور فاعل في التنمية الاقتصادية وإحداث نقلة في سياسات التغيير الاجتماعي وتعزيز التعايش السلمي والهوية والانتماء. وهي أداة من أدوات الترفيه والتسري وعامل من عوامل جذب السياح من داخل وخارج البلاد مما يؤدي إلى إنعاش الاستثمارات وتخفيف حدة الفقر. وتتمتع دارفور بموارد سياحية متفردة يمكن استغلالها للإسهام في دعم بنى الاقتصاد وتحقيق التنمية المستدامة في السودان. علماً أن بالمنطقة الكثير من الآثار القديمة المرتبطة بحضارة وادي النيل وشمال إفريقيا. والمشكلة الجوهرية هي أن تلك الآثار لم تجد حظها من البحث والتنقيب بسبب تركيز البعثات الحفرية في شمال السودان منذ استقلال البلاد ولانعدام الاستقرار والأمن عقب اندلاع الأزمة الإنسانية في دارفور. ويكمن التحدي الراهن في تنامي مخاطر تعرض الآثار للضياع بفعل انتشار التعدين الأهلي وعدم وجود خطط للمسح الأثري قبل توزيع الأراضي للأغراض السكنية أو الحكومية. والنتيجة المنطقية هي إهمال وتهميش مشروعات تطوير التراث الثقافي في دارفور. لذا تحلل هذه الورقة نتائج وتوصيات برامج مركز تراث دارفور بجامعة نيالا والمركز الإقليمي لدراسات حفظ وترميم الممتلكات الثقافية والمركز الثقافي البريطاني في تأهيل وتطوير بنى السياحة في دارفور.

كلمات مفتاحية: دارفور - سياحة؛ دارفور - إقتصاد؛ دارفور - التراث الثقافي.

Abstract

Tourism is linked to cultural heritage which incarnate civilization of humanity at its extraordinary times. Darfur is a vivid portrait signifying an image of diverse cultural heritage since it was an independent kingdom with its indigenous languages and virgin antiquities ranging from the prehistoric epochs to the middle ages. Such activities have efficient role in economy. It is noteworthy that Darfur has many ancient archaeological sites that have cultural connections with the Nile Valley and North Africa. The essential problem shows that these sites have gained no attention in scientific explorations due to focus on Northern Sudan since the independence in addition to the insecurity in the aftermath of outbreak of the humanitarian crisis. Current challenges are due to increasing risks of loss of antiquities because of mining processes and lack of pre-archaeological survey planning prior to distribution of land for various purposes. One finding concludes that marginalization of scientific explorations take place in Darfur. This paper is to analyze the ongoing programs by the Center for Darfur Heritage at the University of Nyala, the Regional Center for Study, Preservation and Conservation of Cultural Property and the British Council in the rehabilitation of tourism infrastructure in Darfur.

Keywords:

Darfur – Tourism; Darfur –Economy; Darfur- Cultural heritage

مقدمة

إن موضوع تاريخ تطور النشاط السياحي في دارفور يتناول الأوجه المختلفة لتطور ممالك دارفور القديمة وما خلفته تلك النظم من حضارة أصبحت تشكل تراثاً ثقافياً وركناً من أركان السياحة. وتسهم السياحة في تشجيع الاستثمارات وتوفير فرص العمل وتقليل حدة مشكلات البطالة. كما أن التخطيط السليم لإدارة التنوع الإثني والطبيعي يمكن أن يضع حداً للعنف والصراعات المتكررة في المنطقة بين المزارعين والرعاة بسبب تدهور الموارد المستنزفة. وبما أن الغاية هي إبراز أنشطة السياحة من منظور الاستثمار الاقتصادي بحيث تعود الفائدة منه لرفاهية المجتمع مما يصاحب ذلك من التسهيلات السياحية المعروفة فلا بد من الاهتمام بموثيق وعهود حماية وصون التراث الثقافي والمواقع التاريخية وضرورة

صيانة وترميم النصب والمعالم الأثرية والتي نصت عليها الاتفاقيات بما فيها اتفاقية منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) للتراث العالمي التي أقرت عام 1972م. وكذلك الميثاق الدولي لصيانة وترميم النصب والمواقع الأثرية (مقررات مؤتمر البندقية لسنة 1964م)، وقانون الآثار السوداني لسنة 1952-1959م. ومن هذا المنطلق ووفق هذه المواثيق فلا بد من وضع سياسة مستقبلية واضحة تستلهم الرغبة الصادقة في احترام موروثاتنا الثقافية والاستفادة منها في تعزيز خطط صناعة السياحة.

وقد اختير موضوع هذه الدراسة من أجل إعادة التعريف بمناطق الجذب السياحي والتراث الثقافي في دارفور. ويشمل ذلك محمية وادي هوار، آثار المالحة، آثار مدن أوري، عين فرح، كتم، جبال الداجو، حظيرة الردوم، بحر العرب، جبل مرة، جبل أم كردوس والأودية الكثيرة المنتشرة لهي خير دليل على توفر مساحات شاسعة للسياحة في المنطقة. وللسياحة والمتاحف دورها الثقافي والاجتماعي والتعليمي بجانب الدور الفاعل في علاج القلق والتوترات النفسية التي تعترى مجتمع ما بعد عصر الصناعة المعروف بمجتمع المع رفة.

المحور الأول: منهجية البحث

اتبعت هذه الدراسة المنهج التاريخي التحليلي الذي يركز على تاريخ النشاط السياحي. فدارفور عبارة عن هضبة يبلغ ارتفاعها نحو 650 إلى 1000 متر فوق سطح البحر. وتشتمل على أربعة نطاقات جغرافية تمتد ثلاثة منها من الشمال إلى الجنوب وتبدأ من الصحراء في الشمال، شبه الصحراء في الوسط والسافانا في الجنوب. وهناك نطاق آخر يقع جنوب ووسط دارفور وهو منطقة جبل مرة حيث يكثر فيها هطول الأمطار وتتمتع بخصوبة التربة والكثافة السكانية العالية.⁽¹⁾

وإذا كانت أهم المعالم السياحية القديمة التي تعرف بعجائب الدنيا السبع التي أعد قائمتها الشاعر الإغريقي انتيباتور الصيداوي عام 130 ق.م. قد تلاشت ست منها وبقي الهرم الأكبر⁽²⁾، فإن منطقة غرب وادي النيل المعروفة اليوم بدارفور وكردفان كانت قد شهدت بناء مدينة الفرعون في عهد النبي موسى بجهة الشمال الغربي من مقرن النيلين الأزرق والأبيض حيث وجدت مقبرة دفن فيها النبي يوسف.⁽³⁾ هذا بجانب مباني وآثار مملكة

١. Reyana, Stephen P., 'The disasters of war in Darfur, 1950-2004', Third World Quarterly, vol. 31(8), 2010, pp.1297-1320.

(2) روبالكابا، جيل؛ ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم، تاريخ مصر القديمة (س.). القاهرة، دبي: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مؤسس محمد بن راشد آل مكتوم. (سلسلة ناشيونال جيوغرافيك)، 2008م. ص. 21.

2. Africanus, Leo; trans. by John Troy, The history and description of Africa and of the notable things therein contained. Vol. III. London: Printed for Hakluyt Society, 1896. P.858.

الداجو في منطقة وادي هوار التي تشمل القلاع الكوشية، نقوش وعلامات الإله الفرعوني آمون رع والقبور القديمة.⁽⁴⁾ كما تشمل عجائب دارفور منطقة جبل مرة حيث توجد معالم ممالك الداجو، التنجور والكيرا بالإضافة إلى آثار جبل أم كردوس صاحب الأسطورة الميثولوجية الشهيرة. ويمكن تناول تاريخ تلك الممالك باختصار على النحو الآتي:

ا. مملكة الداجو

نشأت هذه المملكة في زمن قديم جداً في حقبة ما قبل التاريخ حيث دونت المصادر أنها كانت عبارة عن إمبراطورية ممتدة من النيل الأبيض وحتى نهر شاري في جمهورية تشاد الحالية. وقد تفرق سكانها من منطقة النيل الأصفر بفعل الجفاف الذي ضرب المنطقة في عام 3000 ق.م. فانتشر هؤلاء جنوباً، شرقاً، شمالاً وغرباً.⁽⁵⁾ ويرجع أصل شعب الداجو إلى فراعنة مصر القديمة حيث عرفوا حتى عام 1495 م بـ «ناس فرعون».⁽⁶⁾ ويعتقد المؤرخين أن هذا الفرعون هو رمسيس الثاني وهو فرعون النبي موسى عليه السلام كما ورد في التوراة وكان اسمه «قابوس» في بعض الأقوال وقيل هو الوليد بن مصعب بن الريان ويكنى «أبا مرة» وحكم مصر 67 عاماً من سنة 1291 ق.م. إلى 1224 ق.م. وغرق وتحنطت جثته. وهو أول من استن عادة تقديس الملوك وبنى معابد في أبوسمبل، عكشة، عمارة ونبتا.⁽⁷⁾

وأول ملوك الداجو المدعو قيثار كان قصره بجبل مرة وقد عاصر النبي صالح الذي عاش في جبل مرة وربما مات ودفن في وادي صالح بمنطقة قارسلا.⁽⁸⁾ وآخر ملوكهم هو كا-سي-فرورك (كسيفوروك) الذي تفرد بركوب التيتل في القصة الأسطورية المعروفة وقد طاف به هذا الوحش فكلما سقط جزء من جسده، أو مقتنياته أو ملابسه بنيت قرية حتى وجد الرأس في وسط تشاد بجانب جثة التيتل حيث أسست سلطنتي دار سلا ودار الداجو في منقو بتشاد حالياً. وتبدو آثار حفر جبل أم كردوس ماثلة حتى اللحظة وهناك الكثير من مدن دارفور الحالية قد سميت بلغة الداجو القديمة. وتنتشر آثارهم في دارفور عامة وفي

⁽⁴⁾ السلطة الإقليمية لدارفور - وزارة الثقافة والإعلام والسياحة، دليل إقليم دارفور السياحي أبقوا قدام. الخرطوم: الوزارة، 2015م، ص. 8.

5 Becker, Erik, The prehistoric inhabitants of the Wadi Howar: An anthropological study of human skeletal remains from the Sudanese part of the Eastern Sahara. Ph.D. Thesis, Johannes Gutenberg-Universitat. Mainz, 2003, pp. 7,11,48,55.

6-Lobban, Richard, *Historical Dictionary of ancient and medieval Nubia*. Lanham: Rowman and Littlefield, 2003, p.126; Barth, H., *Travels and discoveries in North and Central Africa: Being a journal of an expedition*. London: Longman, Brown, Green, Longmans and Brothers, 1858, pp. 116,426.

7- عبد العزيز عبد الغني، *أصول الحضارات*. بيروت: دار الفكر. 1971م، ص. 106.

8-Nachtigal, Gustav trans. by Allan G.B. Fisher and Humphrey J. Fisher, *Shara and Sudan: Volume Four Wadai and Darfur*. Berkeley and Los Anglos: University of California Press, 1971, p.272.

جبال الداجو بشرق نبالا خاصة حيث وجدت نقوش مرسومة بالحبر الأحمر والأزرق للخليل، الأبقار، الأفيال، وصورة ملك يرتدي تاجاً معدنياً يعتبر الأقدم في العالم. ويعود تاريخ تلك النقوش إلى أكثر من 3400 سنة قبل الميلاد.(9) وكان البروفيسور الألماني هيرمان يونقرايثماير قد التقط صوراً لعدد (14) موقعاً أثرياً مذهلاً وجدت بجبل «ناري» وجبل «كيما» بجبل مرة ووجد أنها تشبه إلى حد كبير النقوش الفرعونية التي وجدت في منطقة بني حسين في وادي حلفا وصعيد مصر. ولاحظ أنه ولعدم وجود تاريخ يحدد عمر هذه الرسومات عامة ورسم سرج الحصان بجبل كيما خاصة فقد اعتمد على تحديد عمرها بموجب تاريخ دخول «سرج الحصان» في السودان وذلك بنهاية الألفية الأولى قبل الميلاد.(10) ومن أقدم مدنهم الأثرية مدينة تاجوة (سمنة) التي تقع شمال بئر النطرون والتي دمرها قائد حملة مملكة النوبة عام 1150م.(11)

٢. مملكة التنجور

استلم التنجور زمام الدولة في دارفور الحالية بعد انهيار مملكة الداجو. وأهم ملوكها هو شادورشييت وكانت له أوقاف بمكة المكرمة. وقد أكد كل من كاربو (Carbou)، آركل (Arkell) وأبوسن أن كلمة «تنجور» تعني «قوس» في لغة النوبيين والبربر.(12) بينما تفيد رواية جروس (Gros) أن أحمد المعقور كان له ولدان هما «أحمد كنجر» و«موسى تنجر» فخلف الأول والده في دارفور ومن المرجح أنه أصبح مؤسس أسرة الكنجارة التي تفرعت منها أسرة الكيرا الذين انتزعوا السلطة من التنجور.(13)

وأفاد القس تريمنجهام أن أصل التنجور يعود إلى البربر أو النوبيين الذين جاءوا من وادي النيل في القرن الرابع عشر الميلادي.(14) ويرجح الدكتور حسن محمود أن موجة من الهجرات تدفقت إلى دارفور في القرن الثاني عشر والثالث عشر من المغرب عبر المسالك الصحراوية التي تنحدر من طرابلس نحو الجنوب، ومنهم البربر المعروفون بـ«الطنجور» الذين اندفعوا تجاه الجنوب تحت ضغط قبائل العرب الهلالية واندمجوا في العناصر

٩- وزارة الشباب والرياضة والسياحة- الإدارة العامة للسياحة، دليل ولاية جنوب دارفور السياحي، نبالا: الإدارة العامة للسياحة، ٢٠٠٨م، ص. ٢.

10- Jungraithmayr, H., 'Rock paintings in the Sudan'. Current Anthropology, vol. 2(4), Oct. 1961, p. 389.

١١- Arkell, A.J., 'The medieval history of Darfur and the Nilotic Sudan.' SNR, vol. 40, 1959, p. 47.

12 Carbou, H., *La Region du Tchad et du Ouddai*, vol.1. Paris: Earnest Leroux, 1912, pp. 82-83;

Arkell, A.J., "The Medieval History of Darfur 1200-1700 A.D.: Part I-IV, Chapter V The Tungur." SNR, Vol. 32(1), Jun. 1951, p. 49; see:

علي عبد الله أبو سن، مذكرة أبو سن عن مديرية دارفور. الخرطوم: دار الوثائق القومية. 1968م، ص. 19.

13 Gros, R., *Histoire des Toundjour de Mondo*. DocCHEAM 1774, Paris, 1951, p. 21.

14- Trimmingham, J.S., *Islam in the Sudan*. London: Oxford University Press, 1949, pp. 89-90.

الموجودة أصلاً وتصاهروا معهم ونتج عن ذلك الاختلاط عنصر جديد هو شعب الفور وبالطبع فقد وصل الإسلام إلى هذه البلاد مع البربر الوافدين.(15)

٣. سلطنة الكيرا

تسلم الكيرا زمام الحكم من التنجور عقب الحرب التي وقعت بين السلطان دالي صاحب «كتاب قانون دالي» وأخيه غير الشقيق السلطان شادورشييت الذي دمر مقره في عين فرح ففر ولجأ إلى دار البديات. وأهم سلاطينها هو سليمان سولونج الذي عمل على تجديد ونشر الإسلام.(16)

وكان السلطان تيراب، وهو أول من نقل عاصمته من جبل مرة غرباً إلى مدينة ريل في شرق دارفور عام 1770م، واستطاع دحر ابن عمه السلطان هاشم بن عيساوي سلطان المسبغات من حكم كردفان في عام 1785م وعين إبراهيم بن رماد حاكماً عليها وخلفه المقدم مسلم بن عمر وهو من الطروج الذين سكنوا بضواحي نيالا ولكنه قتل في معركة بارا يوم 18 أغسطس عام 1821م في حملة الدفتردار.(17) ولما فر هاشم إلى نهر النيل فقد قاد تيراب حملة فانتصر على العبدلاب ومكث بأم درمان وبنى بها سوراً من الطوب الأحمر. ولما مرض ومات في مدينة بارا في طريق العودة إلى دارفور حُطت جثته كما كان يفعل قدماء الفراعنة ودفن بمقابر سلاطين الكيرا في منطقة طرة. وخلفه شقيقه السلطان عبد الرحمن الرشيد الذي لقب باليتيم لأن والده توفي وهو في بطن أمه ولقب بالرشيد لأنه أرسل إلى السلطان العثماني في الأستانة في تركيا هدية من العاج وريش النعام. فأرسل السلطان العثماني كتاباً يشكر له هديته ويلقبه بـ(الرشيد) وهو اللقب الذي عرف به في أختام السلطنة. كما أنه خاطب مهنئاً نابوليون بونابارت عقب إطاحته بالمماليك سنة 1798م والذين ضيقوا على القوافل التجارية القادمة من مصر إلى دارفور. وهو الذي نقل كرسي الحكم إلى الفاشر الواقعة على ضفة خور تندلتي وعلى مسافة 35 ميلاً من جبل مرة. وقد رد عليه نابوليون خطابه سنة 1799م شاكرًا إياه وطالباً منه إرسال عدد ألفي عبدًا من الأشداء الذين تجاوزوا سن السادسة عشرة من العمر.(18)

15- حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا: الجزء الأول. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1958م، ص.324.

16- Arkell, A.J., *A History of the Sudan from the Earliest Times to 1821*. (2nd rev. ed.) London: University of London Athlone Press, 1955, pp. 107,167; Neufville, R. and Houghron, A., 'A description of Ain Farah and of Wara', Kush, vol.xii, part ii, 1965, pp.200, 203.

17- O'Fahey, R.S., *State and society in Dar Fur*. London: C. Hurst and Company, 1980, p. 86.

18- نعيم شقير؛ تقديم فدوى عبد الرحمن، جغرافية وتاريخ السودان. الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، 2007م، ص. 452-453.

وهناك عدد من السلطنات الصغرى في دارفور مثل سلطنة المساليت في أقصى حدود السودان الغربية التي نشأت في عهد الدولة المهديّة بقيادة الفرشة هجام حسب الله الذي عزله أهله واختاروا بدلاً منه الفكي إسماعيل عبد النبي وقد أسره أنصار المهدي في عام 1883م وبقي في أم درمان. ولكن نجله أبكر استطاع تكوين جيشاً في مدينة درجيل وأعلن نفسه سلطاناً على المساليت. قضى السلطان أبكر معظم فترة حكمه يحارب أنصار المهدي، السلطان علي دينار في الشرق و السلطان الداجو في دار سلا بجهة الغرب. وقبض عليه بواسطة جيش السلطان علي دينار واقْتيد إلى السجن في الفاشر وأعدم في عام 1905م وخلفه شقيقه السلطان تاج الدين. (19) وسلطنة القمر وحاضرتها كلبس وكان جدّهم قمر حسب الله قد قاد عدداً من الجعليين والعرب بما فيهم الكرويات، الصعدة، الحوطية والتّرجم من شندي واستقروا بمنطقة جبل نوّكات بدار تاما الحالية. (20) وذكر شقير أن النوبة قد انقرضوا في شمال السودان وانقرضت لغتهم ولم يبقَ منهم إلا نفر قليل في نواحي شندي وجريف ود قمر بقرب سوبا فاعتنقوا الإسلام واتخذوا لغة العرب لغة لهم. (21) ومن أشهر سلاطينهم السلطان هاشم بن عثمان الذي تزوج من كريمة سلطان الكيرا محمد الحسين. وسلطنة الزغاوة في الشمال الغربي وأشهر سلاطينها السلطان تا بن كوري سلطان الزغاوة كوي الذي أهداه سلطان الكيرا أحمد بكر نحاساً بدلاً من الدنقر. (22)

واستطاعت تلك الممالك إنتاج العديد من عناصر التراث الثقافي المتميز. بيد أن الأبحاث والحفريات الأثرية منذ استقلال السودان كانت قد تركّزت في الشمال النيلي ولم تتح الفرصة لإجراء استكشاف للآثار سوى الحفريات التي أجرتها جامعة كولون الألمانية في منطقة وادي هوار السفلي من أكتوبر إلى ديسمبر عام 2003م لمشروع أكاسيا (Arid Climate, Adaptation and Cultural Innovation in Africa, ACACIA) للمسح الشامل وحفر منطقة أبوتبري في حوض وادي هوار السفلي من أجل استكشاف مواقع الاستيطان البشري والمدافن لحقبة ما قبل التاريخ. وتوقف العمل الميداني بسبب الحرب الأهلية آنذاك. (23) ولم تعن الجامعات السودانية بإنشاء مراكز بحثية للاهتمام بهذا الجانب من أجل إنفاذ موائيق ومعاهدات منظمة اليونسكو بخصوص صيانة وحماية التراث الثقافي اللامادي لعام 2003م. إلا أن جامعة نيالا استطاعت إدراك تلك الفجوة بإنشاء مركز تراث دارفور في عام 2013م لتيّح دراسات

19 ^xHill, Richard, *A biographical dictionary of the Sudan*. 2nd ed. London: Frank Cass and Co., 1967, p. 21.

20 ^xO'Fahey, R.S., Op. cit., 1980, p. 86.

21 ⁰ نعوم شقير؛ تقديم فدوى عبد الرحمن، المرجع الأسبق، 2007م، ص. 363.

22 ^xO'Fahey, R.S., Op. cit., 1980, p. 86.

23 ^xLange, Mathias, 'More archaeological work in Lower Wadi Hoawr (Northern Sudan) – a preliminary report on the 2003 field season', Nyame Akuma, No. 63, June 2005, p. 86.

وأبحاث متخصصة في الحضارة، المتاحف، الآثار واللغات. وقد اقترحت وزيرة التعليم العالي والبحث العلمي عند زيارتها لجامعة نيالا في عام 2019م إنشاء كرسي اليونسكو للآثار بقسم الحضارة التابع لمركز تراث دارفور بجامعة نيالا. والكلية الوحيدة لتقديم دراسات متخصصة في السياحة في دارفور هي أكاديمية هاي كلاس لعلوم الطيران التي تأسست في مدينة نيالا في عام 2016م. وبدأ الاهتمام يتزايد في جميع مدن وحواضر دارفور بالاستثمار في الفنادق والنزل لاستقبال السياح والمعدنين.(24)

مفهوم السياحة

إن صناعة السياحة ليست هي الصناعة الكبرى في العالم فحسب وإنما الأسرع نموًا أيضاً كما يتضح ذلك في الشكلين (1-2) في نهاية هذه الورقة. فهي من الاقتصادات الحيوية، النشطة وذات الأبعاد المتعددة بطبيعتها. فقد وضعت المنظمة الدولية للسياحة في عام 1990م خطة العام 2020م من أجل إعداد المؤشرات والتنبؤات العلمية في مجالات السياحة على مستوى بلدان الشرق الأوسط والعالم.(25) علماً أن أول منظمة دولية أنشئت في مجال السياحة هي الاتحاد الدولي لمنظمات مكاتب الترويج للسياحة (International Union of Official Tourist Propaganda Organizations, IUOTO) في عام 1934م. وفي المؤتمر الدولي الأول للمنظمات الوطنية للسياحة الذي عقد في لندن عام 1946م فقد تغير اسم الاتحاد إلى المنظمة الدولية للسياحة (World Tourism Organization, WTO) ومقرها الحالي مدينة مدريد الإسبانية.(26)

وبرغم حداثة مفهوم «السياحة» (tourism) إلا أن أنشطته قديمة قدم الإنسان وترجع عادة إلى عهد الدولة السومرية في بلاد الرافدين منذ نحو 4000 سنة قبل الميلاد. وقد حدث تحول لمفهوم «السياحة» في الفترة ما بين القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين من التركيز على «التجارة» إلى التركيز على «السفر» وهو صناعة التجوال، الفنادق، الغذاء والترفيه.(27)

24 جعفر علي فضل، مدير مركز تراث دارفور بجامعة نيالا وأمين الشؤون العملية بأكاديمية هاي كلاس، 2020م.

25 () World Tourism Organization, WTO, Tourism 2020 Vision: Volume 5. Madrid: WTO. 2016, p.1.

26 () World Tourism Organization, WTO, UNWTO basic documents, volume I-Statutes, rules of procedure, agreements. Madrid: WTO. 2016, pp.35-36.

27 () Krishnan, K., Tourism: theory, planning and practice. New Delhi: Indus Publishing Company. 1997, p.156.

تعريف السياحة

تعرف «السياحة» بأنها «الزيارة التي يقوم بها الناس لمشاهدة أماكن معينة، أو زيارة الأهل، الأقارب والمعارف أو السفر لقضاء فترة الإجازات أو لقضاء أسعد الأوقات في أشهر وأهم المناطق الطبيعية الخلابة في العالم» (28) ويشمل التعريف أيضاً «المسافرين الذين يحضرون المؤتمرات العلمية، التجارية، السياسية، الدراسة، والمشاركة في الأنشطة الاجتماعية» (29) أما المنظمة الدولية للسياحة فتعرف السياحة باختصار بأنها «الأنشطة التي يقوم به الأفراد من خلال السفر بغرض المكوث في منطقة معينة خارج بيئاتهم الأصلية لفترة تتراوح بين شهر إلى سنة للترفيه، أداء الأعمال التجارية والأغراض الأخرى». ولأن السفر يتطلب الحراك المستمر فإن العامل الجوهرى في السياحة هو ضرورة توفر وسائل النقل بما فيها الطيران، القطارات، والبصات السياحية الأرضية والتاكسي المعلق وغيره (30) وللسياحة تأثيراً كبيراً في التغير الإجتماعي وتحسين الأوضاع الإقتصادية للمجتمعات (31)

السياحة كموارد اقتصادي

يعتقد الخبراء أن الاقتصاد يهتم بكيفية قيام الناس بتحديد الخيارات من بين العديد من البدائل المتاحة. ففي الصباح يحتاج المرء لتحديد نوع وجبة الإفطار، ونوع الملابس التي ينبغي إرتدائها في المناطق ذات الطقس الحار؛ وبالمثل فعلى السائح والمسافر تحديد وجهته التي يريد زيارتها وخط الطيران المناسب ونوع العملة المتداولة وهكذا. والمنتج النهائي المستهلك والمستدام من النشاط السياحي يقاس عادة بطريقة تقييم الطلب مقابل العرض. والهدف من ذلك هو قياس جودة الخدمات المقدمة للسائح كمستهلكين ومستفيدين مقابل رضاهم من سهولة الوصول إلى المناطق السياحية عبر وسيلة النقل المناسبة، توفر المتاحف، النزل والفنادق المهيئة، السلامة والأمن (32)

واقتصاد السياحة (tourism economy) أو اقتصاديات السياحة (economics of tourism) هو العلم الذي يبحث في العملية التنظيمية، الإدارية والفنية لتداخل العلاقة بين السياحة

28 () Lubbe, B. ed., *Tourism management in Southern Africa*. Cape Town: Pearson Education. 2003, p.4.

29 () Lubbe, B. ed., Op. cit., 2003, p.4.

30 () Ibid., p.4.

31 مودة علي أحمد محمد؛ إشراف محمد إسماعيل علي، دور السياحة في التغير الإجتماعي والتنموي في السودان: دراسة حالة مدينة بورتسودان. بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الخدمة الاجتماعية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات العليا، معهد تنمية الأسرة والمجتمع، 2018م، ص. د.

32 () Mak, James, *Tourism and the economy: Understanding the economics of tourism*. Honolulu: University of Hawaii Press, 2004, p.11.

والاقتصاد. وهو يهتم بدراسة الأسس النظرية والتطبيقية لأوجه العرض والطلب والعائد الاقتصادي الذي يتوقع أن يسهم به في الناتج المحلي والناتج القومي الإجمالي بالإضافة إلى البحث وقياس النواحي الإدارية، التسويق والإعلان، أنشطة وكالات السفر، الفنادق، المتاحف، الملاهي والأندية والتقييم الكلي للمشروعات السياحية. وقد طبقت التكنولوجيا الحديثة من أجل تطوير منتج الاقتصاد السياحي وهو «الخدمة» مثل حساب القمر الاصطناعي للسياحة (tourism satellite account, TSA) وهو يختلف عن نظم المعلومات السياحية (tourism information system, TIS). فقد كانت الإحصاءات التي تجمع لأغراض السياحة تنحصر في تقديم بيانات عن حجم السفريات القادمة، عدد الأيام التي يقضيها السائح، أغراض الزيارة، نوع السكن، جنسيات السياح، والمزيد من العناصر الأخرى. ويشمل حساب القمر الاصطناعي للسياحة قواعد بيانات متكاملة مصنفة ومفهرسة تسمح بإتاحة البيانات الخاصة بحجم الاقتصاد السياحي لأوجه العرض والطلب. وهو نظام مهم لقياس الأوجه غير المرئية في تكلفة الإنفاق على مدخلات السياحة ولقياس الأرباح التي يقدمها قطاع صناعة السياحة.(33)

المحور الثاني: السياحة في دارفور

إن السياحة في السودان عامة تتميز بالتنوع وفق تنوع ووحدة أهل البلاد. والسياحة بهذا المضمون هي نتاج لتفاعل المجتمعات والتكوينات الإثنية وهي تعد مستودع للخبرات الاجتماعية والإمكانات الإنتاجية الذاتية التي تغطي رقعة كبيرة من التنوع في مجالات التطور الاقتصادي. وهذا هو دور موارد السياحة الذي يدعم ديناميكية التغير الاجتماعي للفرد والجماعة.(34)

وبما أن السودان قطر مترامي الأطراف ومتعدد الأعراق والثقافات فإنه يتمتع ببيئات متباينة وموارد طبيعية متنوعة وهي بلا شك عوامل جاذبة للسياحة. ولكي تستفيد البلاد بصورة عامة من الموارد السياحية فلا بد من الاهتمام بالزراعة التي تسهم في تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية مما ينعكس على إنشاء المشاريع الزراعية والغابية وتحسين مستوى

33 () Vanhove, Norbert, *The economics of tourism destinations*. Oxford: Elsevier Butterworth-Heinemann, 2005, p.25.

34 ⁰ وزارة الشباب والرياضة والسياحة-إدارة السياحة، «ملاح من تراث ولاية جنوب دارفور». نيالا: الوزارة، 2008م، ص.2-3.

وأنظر محجوب عبد المالك بابكر، «أمن البحر الأحمر ومستقبل السياحة في السودان»، مؤتمر أركويت الثاني عشر، 1995م، ص.34؛ وكذلك: شرف الدين الأمين عبد السلام، «نحو توظيف التراث الشعبي سياحياً»، مؤتمر أركويت الثاني عشر، 1996م، ص.65.

الخدمات وإضافة المزيد من النواحي الجمالية التي تجعل المنطقة قبلة جاذبة للسياحة(35) ووصولاً لما سبق فإن السياحة أصبحت نشاطاً اقتصادياً باعتبارها من ركائز الدخل القومي في كثير من بلدان العالم لما تدره من عملات أجنبية تسهم في حل بعض مشكلات العجز في ميزان المدفوعات، فالسياحة إذا ما توفرت مقوماتها الأساسية فهي ذات مردود وافر وتجارة مربحة.(36)

نشأة وتطور السياحة:

يزخر السودان بالعديد من المقومات السياحية مع وجود البنيات التحتية الأساسية التي تشجع الاستثمار في مجالات السياحة. ومن المعالم البارزة في البلاد أهرامات البجراوية، جبل البركل، حظيرتي الدندر والردوم وشلالات جبل مرة. وللحياة البرية بعدها السياحي المعروف وهي بحاجة لرسم خارطة ترويجية وتطوير الحظائر، المناطق الأثرية والمتاحف وفق رؤى علمية في المقام الأول لبث الوعي السياحي بين المواطنين ثم الترويج للتسويق السياحي لمنتجات الحياة البرية والتراث الثقافي عبر الاهتمام بالجانب الإعلامي وفق المعايير المحلية، الإقليمية والدولية.(37)

الموارد السياحية ومدى الاستفادة منها اقتصادياً:

تتمثل أهم الموارد السياحية في دارفور في الآثار التي تتمركز في المدن القديمة والمساجد والنقوش والرسومات الموجودة في سلاسل الجبال والنحاسات والطبول وأدوات الحرب والزينة وتشمل أيضاً الآتي:

1. جبل أم كردوس: هو كتلة صخرية واحدة من الجرانيت تقع جهة الشمال الشرقي لمدينة نيالا على مسافة 20 كيلومتراً. وحدثت به أسطورة الملك كسيفورك صاحب التيتل وقد حفر جزء كبير من قمته بجهة الشمال الشرقي وبه نقوش قديمة ومنضدة لتقديم القرابين ومنزلاً أثرياً للملك.(38)

2. جبل سلبقتا: يقع شرق مدينة نيالا على مسافة 16 كيلومتراً ويوجد به آثار العديد من الرسومات لبعض الحيوانات والأنشطة التي يرجع تاريخها إلى ما قبل 3000 سنة قبل الميلاد.

35 ⁰ فاطمة محمد الحسن، «السياحة بولاية جنوب دارفور»، ورقة قدمت في ورشة عن السياحة بالولاية، وزارة الشؤون الإجتماعية والثقافية بإدارة السياحة، ولاية جنوب دارفور، 1996م، ص. 1-2.

36 ⁰ السلطة الإقليمية لدارفور - وزارة الثقافة والإعلام والسياحة، دليل إقليم دارفور السياحي أبقوا قدام. الخرطوم: الوزارة، 2015م، ص. 8.

37 ⁰ وزارة الشباب والرياضة والسياحة- الإدارة العامة للسياحة، دليل ولاية جنوب دارفور السياحي. نيالا: الوزارة، 2008م، ص. 2، 4.

38 (Arkell, A.J., "The history of Darfur 1200-1700 A.D. Part IV". SNR, vol. 33(2), Dec. 1952, p.245.

ويوجد بقمته «راكوبة الله» وهي مكان كانت تمارس فيه المعتقدات القديمة وقد أضفت إليه لقب الجبل المقدس مثل جبل البركل الموجود بجوار نبتا بوادي النيل. كما وجد به نفق يمتد إلى جبل آخر (يقال له جد التراب) كان يستخدم في فترة الحروب لحماية الأطفال والمسنين.(39)

3. جبل مرة: هو عبارة عن سلسلة جبلية بركانية ليست نشطة ولا خاملة يبلغ ارتفاعها 3042 متراً فوق سطح البحر، تمتد من الشمال إلى الجنوب بمسافة 55 ميلاً بعرض 40 ميلاً. وتنحدر منها مجاري مياه تـمد حوضي نهر النيل وبحيرة تشاد وبحير شات (بحر العرب) عبر وادي آزوم، وادي بوري، وادي باري، وادي بلبل، وادي أريبو، وادي جندي، وادي دبير، وادي صالح، وادي كونجي ووادي كجا. حيث تهطل فيه الأمطار من شهر مايو حتى سبتمبر من كل عام وهناك بحيرة ضريبة في فوهة القمة البركانية على ارتفاع 4804 قدماً فوق سطح البحر ويبلغ قطرها بين ثلاثة إلى أربعة أميال وتوجد ينابيع المياه الساخنة للاستشفاء بمنطقة كُرنقا بالإضافة إلى عيون وشلالات نيرتتي.(40) وتنتج المساقط المائية في قولو، نيرتتي وقول نحو 2,640,000 متراً مكعباً من المياه في العام.(41) ويتمتع بوفرة في المياه والخضرة والإنتاج الزراعي مع وجود فصائل نادرة من النباتات والطيور والمناظر الخلابة في سوني، مرتجلو، ونيرتتي.(42) ووجدت آثار صناعة السكاكين التي تعود للعصر الحجري القديم (Paleolithic) بين نيرتتي وكالكوتنج. كما اكتشفت قبور قديمة في شهر يونيو عام 1965م في مدينة القبلية في طريق سوق روكيرو وجبل «أو» في الطريق بين طرة جامع والفاشر تشبه قبور المجموعة الثقافية (C-Group). وتوجد آثار مقابر سلاطين الكيرا المبنية من الحجر في منطقة طرة وفيها بنى السلطان موسى بن السلطان سليمان سولونج مسجداً وقام بترميمه لاحقاً السلطان عبد الرحمن الرشيد.(43) وعلى مسافة يوم من هذه المنطقة يوجد منزل السلطان دالي بجبل فوجا وقصر وسجن السلطان كورو والد سليمان سولونج بجبل فوري. وتوجد آثار قصر السلطان سليمان سولونج ونجله السلطان موسى في جبل نامي بجنوب غرب الفاشر. وتوجد آثار السلطان أحمد بكر بتلة أبوعسل. أما آثار قصر السلطان تنسام

39 ⁰ وزارة الشباب والرياضة والسياحة - الإدارة العامة للسياحة، المرجع السابق، 2008م، ص. 2، 4.

40 () Lebon, J. and Robertson, V., 'Jebel Marra, Darfur, and Its Region', The Geographical Journal, vol. 127(1), Mar., 1961, pp.30-31; Hobbs, F.H.C., 'Notes on Jebel Marra, Darfur', The Geographical Journal, vol. 52(6), Dec., 1918, 1918, p.359.

41 ⁰ نجيب عبد الرحمن يوسف، «ورقة الإستثمار السياحي»، قدمت في ورشة عمل إستغلال المساقط المائية بجبل مرة لتنمية مصادر المياه والطاقة وتشجيع الإستثمار والسياحة بمدينة نيرتتي، 3-4 سبتمبر 1996م، ص. 2.

42 () Lebon, J. and Robertson, V., Op. cit., 1961, pp.30-31.

43 ⁰ نجيب عبد الرحمن يوسف، المرجع السابق، 1996م، ص. 3.

جد المسبغات فتوجد بمنطقة دولو كرسي على بعد ستة أميال من ضاحية كولو وفي جبل كوسي وجدت آثار قصر ومدينة السلطان شاو. ومن أقدم الشعوب التي سكنت جبل مرة هم شعب التورا (يعرفون أيضاً بأبوكنان) الذين انحدرت منهم ثلاث أسر مالكة هم الداجو، التنجور، والكيرا والذين تميزت أساليب عمارتهم في البناء الجاف بالحجر.(44)

4.عين فرح هو موقع أثري يقع على مسافة 130 كيلومتراً شمال غرب مدينة الفاشر به ينابيع مياه مستمرة الجريان منذ زمن قديم. ويحتوي الموقع على آثار مجمع مسور بالحجر ومنازل مستديرة مزخرفة ومسجد. ووجد بالموقع آثار الطوب المستدير التي يعتقد أنها بقايا قبة من الطرار الإسلامي. ومن خلال إكتشاف آركل لشقف فخار يرجع للعصور الوسطى من التاريخ النوبي فقد رأى أن ثمة علاقة كانت قد نشأت بين ثقافة هذا الموقع وثقافة الممالك النوبية في وادي النيل واعتقد أنه كان كنيساً وديراً مسيحياً.(45)

5.مدينة أوري تقع شمال غرب مدينة كتم بشمال دارفور وهي موقع أثري قديم يعتقد أنه كان مركزاً تجارياً وربما كان عاصمة لمملكة التنجور. والموقع يحتوي على مجمعات سكنية، قصور، قبور ومساجد قديمة اكتشفت في عقد الخمسينات من القرن العشرين. (46) وبالمدينة الأثرية أيضاً مباني حجرية محاطة بحصون يعتقد الأهالي أنها ترجع لمسجد المدينة وبيت القاضي. وبشرق هذا الموقع وجدت آثار منزل السلطان دالي.(47)

6.وادي هوار: كان يعرف قديماً بالنيل الأصفر الذي تتجمع مياهه من مرتفعات إنيدي في الشمال الغربي ويصب في نهر النيل قبالة مدينة الدبة شرقاً. وكان يشكل رافداً أساسياً لمياه النيل حتى العصر الهولوسيني (Holocene) فجفت ضفتيه مما جعل سكانه يهاجرون في الألفية الرابعة قبل الميلاد إلى النيل شمالاً وجبل مرة غرباً وجبال النوبة جنوباً كما سبقت الإشارة إليه. وشكل الوادي الموطن الأصلي لهؤلاء المهاجرين المتحدثين بأسرة اللغات السودانية الشرقية وهي فرع من عائلة اللغات النيلية الصحراوية.(48) وهو من أقدم مستوطنات شعب الداجو حيث توجد آثارهم القديمة.(49) ووجدت به بقايا إنسان العصر

44 () Wickens, G.E., 'A brief note on the early history of Jebel Marra and the recently discovered Tora city of Kebeleh', SNR, vol. 51, 1970, pp.147,149; Arkell, A.J., 'Darfur antiquities: II Tora palaces in Turra at the North end of Jebel Marra', SNR, vol.20(1), 1937, pp.92,99,100,103.

45 () Edwards, David N., *The Nubian past: An archaeology of Sudan*. London: Routledge, 2004, p.145.

46 () Edwards, David N., Op. cit., 2004, p.145.

47 ()Arkell, A.J., 'Darfur antiquities', SNR, vol.27, 1946, pp.185,192.

48 () Dimmendaal, G.J., 'Eastern Sudanic and the Wadi Howar and Wadi el Milk Dispora'. Sprache und Geschichte in Afrika 18, 2007, p.47.

49 ⁰ السلطة الإقليمية لدارفور - وزارة الثقافة والإعلام والسياحة، المرجع الأسبق، 2015م، ص. 8.

الحجري القديم.(50) ومن آثاره القلاع الكوشية التي وجدت بمنطقة قلعة الحمد إلى جانب نقوش أخرى وعلامة الإله الفرعوني توت عنخ آمون.(51)

7.منطقة دارا: تعد ثاني حاضرة لدارفور ومديرية لجنوب دارفور وأول من عين مديراً لمديرية دارا هو التاجر إلياس باشا أم بربر، فالإيطالي إميلاني باشا ثم النمساوي سلاطين باشا. تتميز بوجود الطابية وأبراج المراقبة التي شيدها سلاطين باشا. وإلى جانب الطريقين توجد بيوت السكان و آثار المسجد الموجودة حالياً. كما تضم المنطقة في أرجائها المختلفة أكثر من عشرين مقبرة حسب مسوحات الهيئة القومية للآثار توجد في مناطق (شديدة، رومالية، جنوب دارفور، وجنوب غرب كاس).(52)

على أن العنصر المهم في جذب السياح لأي بلد تتمثل في طرق النقل والمواصلات، الاتصالات ومناطق النزول والإقامة. فبالنسبة لطرق النقل والمواصلات فإن دارفور ليس بها سوى طريق أم درمان الفاشر وطريق زالنجي الجينية. وحتى عام 1930م كان السفر إلى دارفور يعتمد على وسائل نقل تقليدية مثل الجمال وتلاه استخدام اللواري وبعد الحرب العالمية الثانية انتظمت خدمات الطيران حيث ربطت الفاشر، نيالا والجينية بالخرطوم.(53) وكان القطار، منذ دخول السكك الحديدية لنيالا في عام 1959م، هو الوسيلة الأقل كلفة والأكثر أماناً ولكنه متوقف منذ سنوات إلا من الرحلات الرسمية الخاصة. أما خطوط الطيران فقد كانت تشمل شركة سودانير، شركة تاركو، شركة بدر، شركة مارسلان وشركة نوبا. وقد أسهمت هذه الشركات في خلق فرص عمل وإنعاش اقتصاد المنطقة بانتشار وكالات السفر والسياحة. ونسبة لغلاء أسعار تذاكر السفر بالطيران فقد فضل المسافرين استخدام البصات التي تتجمع عادة في مدينة الفاشر وتصل بنهاية اليوم إلى أم درمان أو العكس في رحلة مضيئة ومكلفة للغاية. أما النزول في دارفور فقد ازدهر الطلب عليها بفعل دخول خدمة القطار إلى مدينة نيالا فأُسست الوكالات وهي عبارة عن منازل عادية تؤجر ليوم أو أكثر حيث يستغل المسافر الأبسط والأسرة التقليدية (البروش والعناقريب) للمبيت في حي الوادي شرق في مطلع عقد الستينات من القرن العشرين. وظهرت اللكوندات وأول من أسسها في نيالا هو مستثمر من شمال دارفور وعرفت أول لكوندا باسم لكوندة دارفور (الآن مبنى بنك المال المتحد

50 () Balfour-Paul, H.G., *History and antiquities of Darfur*. Khartoum: Sudan Antiquities Service, 1955, p.145.

51 () Kropelin, Stefan, 'New petroglyph sites in the Southern Libyan Desert (Sudan-Chad)'. Sahara, 15/2004. P.113.

52 ⁰ وزارة الشباب والرياضة والسياحة- الإدارة العامة للسياحة، دليل ولاية جنوب دارفور السياحي. نيالا: الوزارة، 2008م، ص. 4.

53 ()Lebon, J. and Robertson, V., Op. cit., 1961, p.30.

سابقاً) ثم تلاها ظهور بيوت ضيافة (البنسيونات) بالأجرة ومن أهمها فندق سوني سفاري وأنشئ عام 2007م، فندق أبومازن وأنشئ عام 2001م، وفندق الوادي والمعلم الذي أنشئ عام 2007م لإتاحة إيجار للغرف والخدمات حسب الطلب. وقد ظهرت الفنادق في دارفور في فترة حديثة نسبياً فظهر فندق الفردوس (مغلق حالياً) وكورال الذي تغير اسمه لفندق الضمان ويتكون من 102 غرفة ومصنف خمس نجوم وأنشئ عام 2013م. وفيما يتعلق بالإتصالات فقد شهدت دارفور دخول خدمات البريد والتلغراف في عهد الخديوي إسماعيل باشا (1863-1879م) في عام 1876م. وكانت الفاشر ترتبط عبر تلك الوسائل بالقاهرة وببقية أرجاء العالم الأخرى من خلال خدمات إتحاد البريد العالمي.(54)

ويمكن القول أنه آن الأوان لكي يستغل السودان موارده السياحية المتعددة التي لم تستغل معظمها بصورة مثلى ولم يأخذ نصيبه في حركة السياحة الدولية، فالسياحة صناعة حركية تسهم في إزدهار وتطور الاقتصاد سيما الصناعات المصاحبة (الفنادق، المخيمات، المعسكرات، القرى السياحية، الطيران، المواصلات، المعدات السياحية، المأكولات المختلفة، التحف والهدايا، وكافة وسائل الترفيه ... الخ).

معوقات تطور السياحة في دارفور

- يمكن حصر تحديات تطوير أنشطة السياحة في دارفور في الآتي:
1. مخاطر التعدين الرسمي والأهلي على ضياع ونهب الآثار.
 2. انعدام التخطيط المسبق قبل توزيع خطط الأراضي للمرافق الحكومية، التجارية أو للسكن.
 3. تفشي الأمراض والأوبئة.
 4. انعدام وتدهور الطرق ووسائل المواصلات.
 5. عدم توفر الكوادر المدربة في مجال الإرشاد السياحي والخدمات السياحية.
 6. عدم رضا العاملين من الهيكل الوظيفي بوزارات الثقافة الولائية.
 7. عدم توفر الأمن والسلامة في بعض المناطق.
 8. ضعف الميزانيات وتدني البنيات التحتية ومرافق السياحة كالمتاحف، الفنادق وأماكن الإقامة.

المحور الثالث: نشأت وتطور متاحف دارفور

تُعد المتاحف من أهم أعمدة وأركان صناعة السياحة ولها العديد من الوظائف تتمثل في إساند العملية التعليمية والترفيه وحفظ التراث القومي والإسهام في تنمية وخدمة المجتمع.

54 (Stone, C.P., 'The political geography of Egypt', Journal of the American Geographical Society of New York, vol.15, 1883, pp.361,374.

وهناك علاقة بين السياحة وتوفر المتاحف. وبالسودان عدد من المتاحف أشهرها المتحف القومي والمتحف الإثنوغرافي في الخرطوم، متحف التاريخ الطبيعي ومتحف مكتبة جامعة الخرطوم، ومتحف شيكان في الأبيض.(55)

علماً أن تاريخ نشأة المتاحف في السودان يرجع لعام 1902م عندما أنشئت إدارة للآثار والمتاحف بفعل المجهودات التي قام بها الكتاب والمهتمون بالآثار والمتاحف الذين رافقوا حملة محمد علي باشا للسودان. وفي عام 1904م عرضت بعض المقتنيات الأثرية والتراثية ومواد من التاريخ الطبيعي في غرفتين بكلية غردون مثلت النواة الأولى لمتاحف السودان وعرف هذا المعرض بمتحف الخرطوم واستمر كذلك حتى عام 1934م ثم فتحت أبوابه أمام الجمهور وأكتسب دوراً تعليمياً. وصدر أول قانون للآثار في عام 1905م. وفي عام 1928م حول بيت الخليفة عبد الله التعايشي في أم درمان إلى متحف لعرض تراث المهدية والتركية وكان يشتمل على معرض خاص بمقتنيات غردون باشا والسلطان علي دينار.(56)

تعريف المتحف

عرف المجلس الدولي للمتاحف إيكوم (International Council of Museums, ICOM) في ملتقى الجمعية العامة العاشر في عام 1974م «المتحف» (museum) بأنه «مؤسسة ثابتة غير ربحية تعمل لأجل خدمة وتنمية المجتمع، وهي مفتوحة لعامة الجمهور ومهمتها اقتناء، حفظ، إجراء الأبحاث، الاتصال، وعرض التحف، التماثيل، المواد لأغراض الدراسة، التعليم، التسري، الأدلة الإثباتية للإنسان والبيئة المحيطة به.»(57) وبهذه الصفة فإن مهام المتحف تشمل ولا تقتصر على الآتي:

1. يعمل كمؤسسة لحفظ المقتنيات وداراً للعرض الدائم للمواد المحفوظة في المكتبات ومراكز الأرشيف.
2. يعمل على تجميع وعرض النصب والمواد التذكارية، الطبيعية، الإثنوغرافية، التاريخية والآثارية لأغراض الاقتناء، الحفظ والاتصال العلمي والثقافي.
3. عرض عينات حية من المتنزهات البيولوجية والحيوانية، المائية والمستحاثات المحنطة (vivarium).

55 يوسف حسن مدني، المتحف الفولكلوري والسياحة في السودان ، مؤتمر أركويت الثاني عشر، 1996م، ص 90- 95.

56 مركز الأبحاث والإستشارات الإجتماعية بلندن، حول موضوعات العلوم الإجتماعية والإنسانية في العالم الإسلامي (أبحاث محكمة)، 25 - 27 شباط / فبراير 2013م، جامعة زايد، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2013م، ص. 1246.

57 (Boswell, D. and Evans, Jessica, Representing the Nation: A reader: Histories, heritage and museums. London: Routledge, 1999, p.372.

4. عرض مقتنيات المحميات الطبيعية ويعمل كمركز بحثي للظواهر الفضائية. (58)
وأحدث تعريف للمتحف هو «مؤسسة تهتم بخدمة المجتمع وتعمل على اقتناء، حفظ وإتاحة المواد والقطع الأثرية لأغراض البحث أو التعليم أو الترفيه.» (59) وعليه فإنه وبموجب التعريفين أعلاه، فإن منطقة دارفور- كانت تشمل كردفان وبحر الغزال-هي صورة حية من صور التنوع الطبيعي ولا تزال مقتنياتها بكرةً وفي حاجة للبحث والتنقيب من أجل إنعاش البحث العلمي بدراسة العلاقة بين حضارة دارفور وحضارتي وادي النيل وشمال أفريقيا.

متاحف دارفور ومقتنياتها

تعتبر المتاحف مؤسسات ثقافية سياحية نادرة نشأت حديثاً في دارفور على النحو الآتي:

1. متحف دارفور:

يقع متحف دارفور على خط (22.5) درجة جنوباً في مدينة نيالا حاضرة ولاية جنوب دارفور بجوار كبري وادي نيالا. وكان مبناه عبارة عن منزل مأمور عموم البقارة بيردي سويرس وشيد عام 1936م. وهو من أميز المتاحف بعد المتحف القومي السوداني الموجود في الخرطوم حيث يعنى بجمع وحفظ وعرض المكنونات من آثار الحضارات الإنسانية ومعالم التاريخ والثقافة والفنون. (60)

2. متحف السلطان علي دينار

كان مبنى قصر السلطان علي دينار الذي شيده مهندس تركي من الأناضول يدعى الحاج عبد الرازق قد بني من طابقين بسمك جدار تجاوز المتر وعرشه من خشب شجر الصهب وصممت أبوابه ونوافذه من خشب شجر القمبيل وهي من الأشجار الجبلية التي تتميز بالصلابة. وكان به غرفتان للسلطان في الطابق العلوي والسفلي معاً يستقبل في إحداها ضيوفه إلى جانب حديقة في بهو القصر. وهناك خمس غرف منفصلة بجوار القصر كانت قد خصصت لزوجات السلطان. وكتبت على باب الغرفة التي يستقبل فيها السلطان ضيوفه عبارة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» من عاج سن الفيل. (61) وبعد سقوط سلطنة دارفور ومقتل السلطان علي دينار يوم 6 ديسمبر عام 1916م اتخذ الإنجليز من القصر مقراً لهم وحافظت عليه الحكومات الوطنية كإرث وطني. وفي عام 1977م قرر الرئيس

58 (Boswell, D. and Evans, Jessica, Op. cit., 1999, p.372.

59 (Hudson, K., 'Attempts to define museum' in: Evans, J. and Boswell, Representing the nation: A reader: histories, heritage and museums. London and New York: Taylor and Francis Group, 1999, p.371.

60 أحمد العربي، أمين متحف دارفور، نيالا: رسالة بالواتساب، الساعة 8:57 دقيقة مساء الثلاثاء 31 مارس 2020م.

61 (Sarsfield-Hall, E.G., 'Darfur', The Geographic Journal, vol.60(5), 1922, p.361.

الأسبق جعفر محمد نميري تحويله إلى متحف يؤرخ للسلطنة. ومن مقتنيات المتحف كرسي السلطان، مصحف مخطوط باليد، إبريق من الفضة، سيوف، حراب والدروع التي حارب بها جيش السلطان ضد المستعمر الإنجليزي بالإضافة إلى بندقية أهداها السلطان العثماني لحليفه السلطان علي دينار إلى جانب صور المحمل الذي كان يرسل إلى مكة المكرمة. (62)

3. متحف جامعة نيالا: أنشئ هذا المتحف بمركز تراث دارفور بالجامعة للأغراض التعليمية، البحثية والترفيهية في عام 2013م ويحتوي على عدد من المقتنيات تشمل شقف الفخار، صور فوتوغرافية، حكم وأمثال، مواد فولكلور وغيرها. (63)

4. متحف ضابط موسى الحربي بالجينية: يقع في وسط سوق مدينة الجينية في غرب دارفور بمنزل المرحوم ضابط موسى إدريس الذي عمل بقوات فرقة العرب العربية وشارك في الحرب العالمية الثانية في عام 1940م حيث تحركت كتيبته من مدينة الفاشر إلى الجبهة الشرقية في مدينة غندار بإثيوبيا لصد هجوم الجيش الإيطالي. وعرفت كتيبته باسم «برنجي بلك» واستطاع مع زميله جبارة الله يس وهو من لقاة بغرب كردفان إسقاط طائرة إيطالية بطلق من مدفع ربط على شجرة وتمت ترفيتهما لرتبة ملازم ثاني عام 1942م ثم إلى رتبة ملازم أول عام 1944م ومنحاً عدداً من الأوسمة، النياشين، الهدايا الملكية والرئاسية وغيرها. (64)

معوقات تطوير المتاحف ومقتنياتها في دارفور

1. انعدام التشريعات والتمويل الكافي.
 2. جهل المجتمع بأهمية المتاحف وقلة المؤسسات العلمية المختصة بتطوير الأبحاث والدراسات.
 3. ضعف أنشطة الاستكشافات والحفريات الخاصة بآثار التاريخ القديم في دارفور.
- مقترح الحلول لتطوير السياحة في دارفور**
1. تضمين أنشطة السياحة، الآثار والمتاحف في التشريعات والدساتير الوطنية.
 2. إعداد خرائط مسبقة بمواقع الآثار بغرض الحماية من التغول السكني، الحكومي أو لأغراض التعدين الأهلي.
 3. رفع أسماء معالم دارفور مثل جبل مرة وجبل أم كردوس لسجل اليونسكو للتراث العالمي لليونسكو.

62 O'Fahey, R.S., Op. cit., 1980, p. 86.

63 جعفر علي فضل، مدير مركز تراث دارفور بجامعة نيالا وأمين الشؤون العملية بأكاديمية هاي كلاس، مصدر سابق، 2020م.

64 آدم موسى إدريس، نجل المرحوم ضابط موسى الملقب بـ«كنو»، موظف بمنظمة الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين بمدينة الجينية. رسالة عبر الواتساب بتاريخ 28 مارس 2020م الساعة 8:54 دقيقة صباحاً.

4. دعم وتشجيع التبادل الأكاديمية بين المراكز البحثية والجامعات الغربية لإجراء الاستكشافات والحفريات الأثرية لتغذية وإسناد مقتنيات المتاحف لجذب السياح.
5. الإهتمام بالتأهيل والتدريب في مجالات أنشطة السياحة، الآثار والمتاحف.
6. الترويج الإعلامي للإمكانات السياحية المتوفرة في دارفور.

الخاتمة:

إن الالتزام بالمواثيق الدولية المتعلقة بصون وحماية التراث القديم والحديث تتطلب تضافراً للجهود بين المكونات المختلفة المنوط بها حماية الآثار والمواقع الأثرية. ومن هذا المنطلق فلا بد من وضع سياسات جادة لحسن إدارة موارد السياحة. وحتى يتم ذلك فلا بد من تزويد السائحين بالمعلومات الكافية والصحيحة من خلال توفير دورات تدريب للمرشدين تحت إشراف خبراء مختصين. سيما وأن السياحة الثقافية أصبحت إحدى الوسائل الأساسية على المستوى الدولي وعبرها يتم التفاهم والتواصل بين الشعوب بصرف النظر عن المورد المالي.

النتائج:

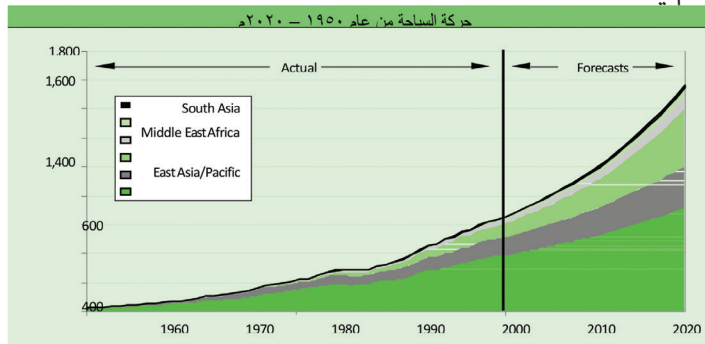
توصلت الدراسة إلى وجود روابط ثقافية وحضارية بين حضارة دارفور وحضارة وادي النيل ومصر القديمة. ووجدت أن هناك مشكلات في تدريب وتأهيل العاملين بالمتاحف وقطاع السياحة عامة. وتفتقر تلك المتاحف، على ندرتها، إلى خزن وصناديق عرض المقتنيات، أنظمة الإضاءة والحماية والترويج والتسويق في ظل تدهور وتصعد المباني وانعدام البنيات التحتية والمرافق الخدمية. ووجد أن الفرع الإقليمي للمركز الإقليمي لدراسات حفظ وترميم الممتلكات الثقافية ومقره الشارقة بدولة الإمارات والمركز الثقافي البريطاني قد اهتمتا بعملية إعادة تأهيل وتطوير متاحف غرب السودان المجتمعية. ويشمل هذا المشروع ترميم متحف بيت الخليفة ومنزل برمبل في أم درمان، متحف شيكان في الأبيض ومتحف دارفور في نيالا بميزانية قدرها 997,000 جنيهاً استرليني حتى تفتتح أبوابها لأغراض الثقافة والتعليم، خدمة المجتمع والسياحة. وقد مول المشروع بواسطة المجلس الثقافي البريطاني بالاشتراك مع وزارة الثقافة، الإعلام والرياضة البريطانية. وقد وقع المركز الثقافي البريطاني اتفاقية تفاهم مع مركز تراث دارفور بجامعة نيالا لتمويل مشروع جمع التراث الثقافي في دارفور للعام 2020م من أجل تطوير خدمات المتاحف في دارفور.

التوصيات:

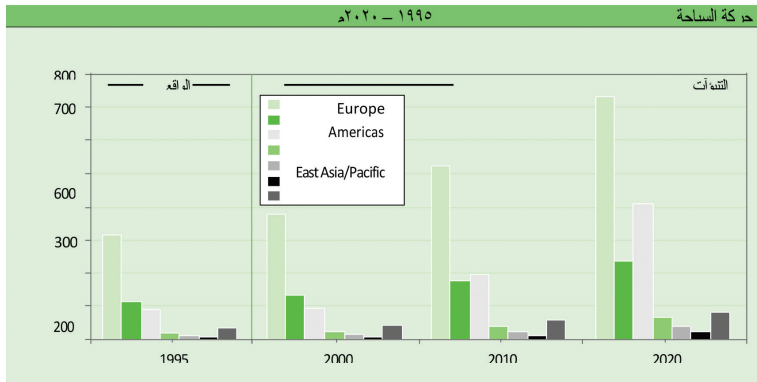
يمكن الخروج بالتوصيات التالية:

1. إعادة تأهيل المواقع السياحية وإنشاء الفنادق والنزل وتنظيم السفريات.

2. إجراء مزيد من البحث والتنقيب لاستكشاف وحماية المواقع الأثرية.
3. تشجيع رأس المال الخاص الوطني والأجنبي وتسهيل الإجراءات والاهتمام بعمليات الترويج وتنظيم المهرجانات التراثية.
4. التخطيط لإتاحة الأراضي السكنية، الحكومية وآبار التعدين بموجب خرائط للمسح الأثاري المسبق.
5. إدراج الأنشطة السياحية، الآثار والمتاحف في التشريعات المحلية ودستور البلاد.
6. دعم وتعزيز دور المراكز البحثية المتخصصة في مجالات السياحة والتراث الثقافي



شكل رقم (1) يوضح حركة السياحة العالمية (1950-2020م). المصدر:
المنظمة الدولية للسياحة



شكل رقم (2) يوضح حركة السياحة العالمية (1995-2020م). المصدر:
المنظمة الدولية للسياحة

الهوامش

1. آدم موسى إدريس، نجل المرحوم ضابط موسى الملقب بـ«كنو»، موظف بمنظمة الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين بمدينة الجنيّة. رسالة عبر الواتساب بتاريخ 28 مارس الساعة 8:54 دقيقة صباحاً، 2020م.
2. أحمد العربي، أمين متحف دارفور، نيالا. رسالة بالواتساب، الساعة 8:57 دقيقة مساء الثلاثاء 31 مارس 2020م.
3. جعفر علي فضل، مدير مركز تراث دارفور بجامعة نيالا وأمين الشؤون العملية بأكاديمية هاي كلاس، 2020م.
4. حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا: الجزء الأول. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1958م. ص.324.
5. روبالكابا، جيل؛ ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم، تاريخ مصر القديمة (...). القاهرة، دي: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مؤسس محمد بن راشد آل مكتوم. (سلسلة ناشيونال جيوغرافيك)، 2008م. ص.21.
6. السلطة الإقليمية لدارفور - وزارة الثقافة والإعلام والسياحة، دليل إقليم دارفور السياحي أبقوا قدام. الخرطوم: الوزارة، 2015م. ص.8.
7. شرف الدين الأمين عبد السلام، نحو توظيف التراث الشعبي سياحياً، مؤتمر أركويت الثاني عشر (1996م). ص.65.
8. فاطمة محمد الحسن، «السياحة بولاية جنوب دارفور»، ورقة قدمت في ورشة عن السياحة بالولاية، وزارة الشؤون الإجتماعية والثقافية بإدارة السياحة، ولاية جنوب دارفور، 1996م. ص. 1-6، 2.
9. عبد العزيز عبد الغني، أصول الحضارات. بيروت: دار الفكر، 1971م. ص.106.
10. علي عبد الله أبو سن، مذكرة أبو سن عن مديرية دارفور. الخرطوم: دار الوثائق القومية. 1968م، ص.19.
11. محجوب عبد المالك بابكر، «أمن البحر الأحمر ومستقبل السياحة في السودان»، مؤتمر أركويت الثاني عشر، 1995م، ص.34.
12. مركز الأبحاث والاستشارات الإجتماعية بلندن، «حول موضوعات العلوم الإجتماعية والإنسانية في العالم الإسلامي» (أبحاث محكمة)، 25 - 27 شباط/ فبراير 2013م، جامعة زايد، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2013م. ص. 1246.
13. مصطفى حسن أزيق، «الاستثمار السياحي في السودان»، ورقة قدمت في مؤتمر أركويت

- الثاني عشر، عن السياحة في السودان، 1996م. ص.29.
14. مودة علي أحمد محمد؛ إشراف محمد إسماعيل علي، «دور السياحة في التغير الاجتماعي والتنموي في السودان: دراسة حالة مدينة بورتسودان.» بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في الخدمة الاجتماعية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات العليا، معهد تنمية الأسرة والمجتمع، 2018م. ص.د.
15. نجيب عبد الرحمن يوسف، «ورقة الإستثمار السياحي» قدمت في ورشة عمل إستغلال المساقط المائية بجبل مرة لتنمية مصادر المياه والطاقة وتشجيع الإستثمار والسياحة بمدينة نيرتتي، 3-4 سبتمبر 1996م. ص. 2.
16. نعوم شقير؛ تقديم فدوى عبد الرحمن، جغرافية وتاريخ السودان. الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، 2007م. ص.363، 452-453.
17. الهادي إبراهيم حسن، «البُعد السياحي للحياة البرية في السودان»، مؤتمر أركويت الثاني عشر، 1996م. ص.78.
18. وزارة الشباب والرياضة والسياحة-إدارة السياحة، «ملاح من تراث ولاية جنوب دارفور.» نيالا: الوزارة، 2008م. ص.2-3.
19. وزارة الشباب والرياضة والسياحة- الإدارة العامة للسياحة، «دليل ولاية جنوب دارفور السياحي.» نيالا: الوزارة، 2008م. ص.2، 4.
20. يوسف حسن مدني، «المتحف الفولكلوري والسياحة في السودان»، مؤتمر أركويت الثاني عشر، 1996م. ص 90-95.

الهوامش الأجنبية:

Africanus, Leo; trans. by John Troy, The history and description of Africa and of the notable things therein contained. Vol. III. London: Printed for Hakluyt Society, 1896, p.858

Arkell, A.J., 'The medieval history of Darfur and the Nilotic Sudan.' SNR, vol. 40, 1959, pp. 44-47.

Arkell, A.J., A History of the Sudan from the Earliest Times to 1821. (2nd rev. ed.) London: University of London Athlone Press, 1955, pp. 107,167

A.D. Part IV'. SNR, vol. 33(2), Dec. 1700-Arkell, A.J., 'The history of Darfur 1200-1952, p.244

A.D.: Part I-IV, Chapter 1700-Arkell, A.J., "The Medieval History of Darfur 1200-1951, pp. 37-70-V The Tungur." SNR, Vol. 32(1), Jun. 1951, pp. 37

- 202-Arkell, A.J., "Darfur antiquities," SNR, vol.27, 1946, pp.158
- Arkell, A.J., 'Darfur antiquities: II Tora palaces in Turra at the North end of Jebel
.105-Marra', SNR, vol.20(1), 1937, pp.91
- Balfour-Paul, H.G., History and antiquities of Darfur. Khartoum: Sudan
.Antiquities Service, 1955, p.145
- Barth, H., Travels and discoveries in North and Central Africa: Being a journal of
an expedition. London: Longman, Brown, Green, Longmans and Brothers, 1858,
.pp. 116,426
- Becker, Erik, The prehistoric inhabitants of the Wadi Howar: An anthropological
study of human skeletal remains from the Sudanese part of the Eastern Sahara.
.Ph.D. Thesis, Johannes Gutenberg-Universitat. Mainz, 2003, pp. 7,11,48,55
- Boswell, D. and Evans, Jessica, Representing the Nation: A reader: Histories,
.heritage and museums. London: Routledge, 1999, p.372
- Carbou, H. (1912). La Region du Tchad et du Ouddai, vol.1. Paris: Earnest
.83-Leroux, pp. 82
- Dimmendaal, G.J., 'Eastern Sudanic and the Wadi Howar and Wadi el Milk
.67-Dispora'. Sprache und Geschichte in Afrika 18, 2007, pp.37
- Edwards, David N., The Nubian past: An archaeology of Sudan. London:
.Routledge, 2004, p.145
- Gros, R., Histoire des Toundjour de Mondo. DocCHEAM 1774, Paris. 1951, p. 21
- Hill, Richard, A biographical dictionary of the Sudan. 2nd ed. London: Frank Cass
.and Co, 1967, p. 21
- Hobbs. F.H.C., 'Notes on Jebel Marra, Darfur', The Geographical Journal, vol.
.363-52(6), Dec., 1918, pp.357
- Hudson, K., 'Attempts to define museum' in: Evans, J. and Bosewell, Representing
the nation: A reader: histories, heritage and museums. London and New York:
.Taylor and Francis Group, 1999, p.371
- Jungrathmayr, H., 'Rock paintings in the Sudan'. Current Anthropology, vol. 2(4),
.389-Oct. 1961, pp. 388
- Krishnan, K., Tourism: theory, planning and practice. New Delhi: Indus

- .Publishing Company, 1997, p.156
- Lebon, J. and Robertson, V., 'Jebel Marra, Darfur, and Its Region', The
31,45-Geographical Journal, vol. 127(1) Mar., 1961, pp.30
- Kropelin, Stefan, 'New petroglyph sites in the Southern Libyan Desert (Sudan-
.118-pp.111 ,2004/Chad)'. Sahara, 15
- Lange, Mathias, "More archaeological work in Lower Wadi Hoawr (Northern
Sudan) – a preliminary report on the 2003 field season," Nyame Akuma, No. 63,
.19-June 2005, pp. 15
- Lobban, Richard, Historical Dictionary of ancient and medieval Nubia. Lanham:
.Rowman and Littlefield, 2003, p.126
- Lubbe, B. ed., Tourism management in Southern Africa. Cape Town: Pearson
.Education, 2003, p.4
- Mak, James, Tourism and the economy: Understanding the economics of tourism.
.Honolulu: University of Hawaii Press, 2004, p.11
- Nachtigal, Gustav trans. by Allan G.B. Fisher and Humphrey J. Fisher, Shara and
Sudan: Volume Four Wadai and Darfur. Berkeley and Los Anglos: University of
.California Press, 1971, p.272
- Neufville, R. and Houghron, A., 'A description of Ain Farah and of Wara', Kush,
.vol.xii, part ii, 1965, pp.200, 203
- O'Fahey, R.S., State and society in Dar Fur. London: C. Hurst and Company, 1980,
.p. 86
- Third World , '2004-Reyana, Stephen P., 'The disasters of war in Darfur, 1950
.1320-Quarterly, vol. 31(8), 2010, pp.1297
- .368-Sarsfield-Hall, E.G., 'Darfur', The Geographic Journal, vol.60(5), 1922, pp.359
- Stone, C.P., 'The political geography of Egypt', Journal of the American
.Geographical Society of New York, vol.15, 1883, pp.361,374
- Trimingham, J.S., Islam in the Sudan. London: Oxford University Press, 1949, pp.
.90-89
- Vanhove, Norbert, The economics of tourism destinations. Oxford: Elsevier
.Butterworth-Heinemann, 2005, p.25

- Wickens, G.E., 'A brief note on the early history of Jebel Marra and the recently
.151-discovered Tora city of Kebeleh', SNR, vol. 51, 1970, pp.147
- World Tourism Organization, WTO, Tourism 2020 Vision: Volume 5. Madrid:
.WTO, 2016, p.1
- World Tourism Organization, WTO, UNWTO basic documents, volume
.36-I-Statutes, rules of procedure, agreements. Madrid: WTO, 2016, pp.35